

الثانية باسم « محاسن الكلام » بل إن الذى يوحى به كلامه أن ليس ثمة فرق بينهما ، فالبديع هو محاسن الكلام ، والعكس صحيح ، وذلك إذ يقول : « ونحن الآن نذكر بعض محاسن الكلام والشعر . ومحاسنها كثيرة لا ينبغى للعالم أن يدعى الإحاطة بها ، حتى يتبرأ من شذوذ بعضها عن علمه وذكره . وأحببنا لذلك أن تكثر فوائد كتابنا للمتأدبين ويعلم الناظر أننا اقتصرنا بالبديع على الفنون الخمسة اختياراً من غير جهل بمحاسن الكلام ، ولا ضيق في المعرفة ، فمن أحب أن يقتدى بها ويقتصر بالبديع على تلك الخمسة فليفعل ، ومن أضاف من هذه المحاسن أو غيرها شيئاً إلى « البديع » .. فله اختياره »^(١٣١) ويفسر الدكتور بدوى طبانة هذا المسلك لابن المعتز بأنه لم يؤلف كتابه في وقت واحد بل ألفه على مرحلتين ، أحصى في المرحلة الأولى الفنون الخمسة المذكورة في البديع وبعد أن تحدث عنها كتب الخاتمة التى اعتاد أكثر المؤلفين أن يختتموا بها مؤلفاتهم ، وقد أشرنا إليها فيما سبق . ثم يضيف الدكتور طبانة أنه ربما كان ابن المعتز قد سمع بعد ذلك من بعض النقاد اعتراضاً على قصر البديع على الفنون الخمسة الأولى ، وأنهم رأوا البديع أكثر مما ذكر ، فأقرهم على دعواهم ، وكتب بقية المحسنات ، وضمها إلى الفنون الخمسة ، لينفى عن نفسه مظنة الجهل بتلك البقية^(١٣٢) . إلا أنه يمكن أن يُعترض على ذلك بأن هذا الرأى مبنى على اعتبار الفنون الخمسة محسنات للكلام على وجه الإطلاق ، كتلك الفنون التى ضمتها المجموعة الثانية ، وليس الأمر كذلك فقد تكون حسنة ، وقد تكون قبيحة ، وقد عرض ابن المعتز للنوعين الخروج ، و « حُسن التضمين » و « حُسن التشبيه » ؛ ومن هنا يمكن القول بأن هو الحُسن ، بل إنه نص على صفة الحُسن في أسماء بعضها كما في « حُسن الخروج » ، و « حُسن التضمين » و « حُسن التشبيه » ومن هنا يمكن القول بأن قصر ابن المعتز مصطلح « البديع » على الفنون الخمسة إنما يرجع إلى ما كانت تصدق عليه الكلمة في عرف الرواة ونقاد الأدب آنذاك ، وهو الجديد الطريف ، أو الشيء الذى وجد أولاً ، وليس بالضرورة أن يكون حسناً دائماً ؛ فكانت دعوى الرواة والمتأدبين أن بعض الشعراء المولدين قد أتوا في أشعارهم بالجديد

(١٣١) كتاب البديع ص ٥٨ .

(١٣٢) انظر البيان العربى ، الطبعة الثالثة ص ٩٧ -- ٩٨ .